أخلاقيات مجتمع المعرفة في التراث العربي الإسلامي وضوابطه : المحدثون أنموذجاً

أ. نوزت أبو لبن

مستخلص

يهدف هذا البحث إلى إبراز الأخلاقيات الرفيعة ومبادئ البحث العلمي في التراث العربي الإسلامي التي أرساها لنا المحدثون (رجال الحديث النبوي الشريف) وهم ممن تعهدوه بضبطه باتباع قواعد متينة في البحث العلمي الجاد والتدقيق والتوثيق والتمحيص من ناحية، ومن ناحية أخرى ما كان لها (هذه الأخلاقيات) من الأثر الكبير في إثراء المكتبة الإسلامية.

Abstract

This research aims to show the great ethics & the principles of scientific research in our Arabic & Islamic heritage, which Hadith`s men had vowed these great principles in scientific research and documentation, otherwise these ethics had an impact on the enrichment of the Islamic library.

حمل القرآن الكريم بكل معانيه المبادئ والأخلاق والحياة الطيبة الكريمة لكل إنسان، والله سبحانه وتعالى بعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم للناس كافة ورحمة لهم في الدنيا والآخرة، فيقول جل من قائل ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾، (الأنبياء: ١٠٧).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق"، وفي رواية مكارم الأخلاق"[١].

والتراث العربي الإسلامي زاخر بكل إبداعات العلوم الإنسانية وأهم عماد لتلك العلوم الأخلاق الحميدة بشكل عام، وقد كثرت فيه المؤلفات، منها: كتب أحمد بن مسكويه (٤٢١هـ)" تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق"، و"طهارة النفس"، و"آداب العرب والفرس"، و"ترتيب السعادات"[٢]، و"السعادة في فلسفة الأخلاق"[٣]. وكتابا أبي نصر الفارابي (٣٣٩هـ) "آراء المدينة الفاضلة" و"تحصيل السعادة"[٤]، كما وإبدع علماؤنا المسلمون من السلف الصالح في إرساء قواعد وأخلاقيات خاصة بالمهنة، كمهنة الطب التي ألف فيها إسحاق بن علي الرهاوي (٣١٩هـ): أدب الطبيب"، وأخلاقيات العلم والتعلم كان فيها الحظ الوافر من الدراسة والتأليف، مثل: "أدب الكتاب" لمحمد بن يحيى الصولي (٣٣٥هـ)[٥] و"تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم" لإبن جماعة (٧٣٣هـ)[٦] و"المعيد في أدب المفيد والمستفيد" للعلموي (٩٨١هـ)[٧]، وكتب أحمد بن علي الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ)" إقتضاء العلم والعمل و"تقييد العلم"[٨] و"الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع[٩].

(١) مسند أحمد بن حنبل ٢: ٣٨١٦
(٢) الأعلام ١ : ٢١٢
(٣) وراقو بغداد في العصر العباسي ص٢٤٧
(٤) ذخائر التراث العربي ٢ : ٧٢٩-٧٣٠
(٥) المصدر السابق ٢ : ٦٥١
(٦) المصدر السابق ١ : ٧٣
(٧) مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي ص٢٦
(٨) ذخائر التراث العربي ١ : ٤٩٦
(٩) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع : المقدمة

مفهوم التراث:

ورد في القرآن الكريم كلمة التراث في سورة الفجر آية ١٩ ﴿ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴾، وعرفه أبن منظور فقال: "ورثت فلاناً مالاً أرثه ورثاً وورثاً إذا مات مورثك، فصار ميراثه لك. وقال الله تعالى إخباراً عن زكريا ودعائه إياه: (هب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب)؛ أي يبقى بعدي فيصير له ميراثي؛ قال ابن سيده: إنما أراد يرثني ويرث من آل يعقوب النبوة، ولا يجوز أن يكون خاف أن يرثه أقرباؤه المال، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إنا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركنا، فهو صدقة)، وقوله عز وجل: (وورث سليمان داود)؛ قال الزجاج: جاء في التفسير أنه ورثه نبوته وملكه. وروى أنه كان لداود عليه السلام، تسعة عشرولداً، فورثه سليمان عليه السلام، من بينهم النبوة والملك"[١].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن العلماء ورثة الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً ولكن ورثوا العلم)[٢]

"وعرفه اصطلاحاً الأستاذ الكبير عبد السلام هارون رحمه الله أنه التراث الفكري المتمثل في الآثار المكتوبة الموروثة التي حفظها التاريخ كاملة أو مبتورة، فوصلت إلينا بأشخاصها.

وليس هناك حدود معينة لتاريخ أي تراث كان، فكلما خلّفه مؤلف من نتاج فكري بعد حياته طالت تلك الحياة أو قصرت، يعد تراثاً فكرياً." [٣]

جاء الإهتمام بالأحاديث النبوية الشريفة وتدوينها باعتبارها الشرح المفصل لآيات القرآن الحكيم وهذا يؤكده قول المولى جل شأنه في مواضع متعددة من كتابه

(١) لسان العرب ٢: ١٩٩-٢٠٠
(٢) سنن الترمذي ٥: ٤٩ (حديث ٢٦٨٢)
(٣) التراث العربي ص ٣

العزيز إقتران طاعته سبحانه وتعالى بطاعة نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم، منها:

﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾، (النساء: ٨٠)

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ ﴾، (الحشر: ٧)

﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾، (الأحزاب:٢١)

والقرآن الكريم هو كلام الله سبحانه وتعالى المنزل على نبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المرسل بواسطة الوحي الأمين جبريل عليه السلام، قد اشتمل على نصوص مجملة شرحها في السنة النبوية المطهرة التي هي بمنزلة الوحي بدليل قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴾،(النجم: ٣-٤)، وقوله جل شأنه: ﴿ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾، (يونس: ١٥) وقوله جل وعلا: ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ﴾، (النساء: ١١٣)، والحكمة هي السنة

وقوله سبحانه وتعالى ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ ﴾، (النحل: ٤٤)

ومن الأمثلة على أن القرآن الكريم عبارة عن خطوط عريضة للتشريع وشرحها في السنة والأحاديث النبوية الشريفة:

قول الله عز وجل: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ... ﴾، (البقرة: ٤٣)

"فهذا يفهم منه: وجوب كل من الصلاة والزكاة.

ولكن: ماهي هذه الصلاة التي أوجبها، وما كيفيتها؟ وما وقتها؟ وما عددها؟ وعلى من تجب؟ وكم مرة تجب في العمر؟

وما هي ماهية الزكاة؟ وعلى من تجب؟ وفي أي مال تجب؟ وما مقدارها؟ وما شرط وجوبها؟"[1]

وقوله جل وعلا: ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾، (البقرة: ١٩٦)

ففهمنا: وجوب إتمامهما.

لكن: ما المراد بهما؟ أهو جميع ما كان يفعله العرب في الجاهلية؟ أم شيء آخر؟ فما هو؟ وكم مرة يجب في العمر؟[2]

تدوين الحديث النبوي الشريف وكتابته في فجر الإسلام:

كان حرص الصحابة رضوان الله عليهم على أخذ الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم كحرصهم على حفظ القرآن الكريم، "وكان اعتمادهم أولاً على الحفظ والضبط في القلوب لا على الكتابة في السطور وذلك لسرعة حفظهم وسيلان أذهانهم. ويرى الباحثون أن قلة التدوين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود بالدرجة الأولى إلى ندرة وسائل الكتابة وإلى ضعف البواعث النفسية عند أكثرهم على كتابة الحديث. والباحث يخالف هذا الرأي لأن ندرة أدوات الكتابة لم تمنع الصحابة رضوان الله عليهم من تجشم المشاقّ وركوب الصعاب لكتابة القرآن الكريم على الأكتاف والعسب وقطع الأديم ورقائق الحجارة.

ومن خلال دراستنا لسير الصحابة رضوان الله عليهم نجد أن الدوافع النفسية الداعية لكتابة السنة وحفظها كانت قوية جداً، خاصة وأن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يعلمون أن السنة هي الأصل الثاني لديهم بعد القرآن الكريم، وأنهم مطالبون بحفظها تماماً كمطالبتهم بحفظ القرآن الكريم.

---

(١) دلائل التوثيق المبكر للسنة ص ٢٨
(٢) المصدر السابق ص ٢٩٢

وكلنا يعلم مدى حب الصحابة رضوان الله عليهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه لا ينطق عن الهوى، والإنسان بطبعه يحرص على حفظ كلام من يحب، ولذلك فقد حرصوا على حفظ السنة وجمعها، بل تقّرغ بعضهم كلياً لسماع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كأبي هريرة رضي الله عنه الذي لازم النبي صلى الله عليه وسلم على قوت يومه.

يقول الدكتور علي محمد نصر: "ولقد كانوا يرون في حفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم غذاء روحياً يزداد به إيمانهم ويسمو وجدانهم، فقد كان الواحد منهم يقول لصاحبه وهو ذاهب لمجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم: تعال نؤمن ساعة".

وقد عزا معظم العلماء في كتبهم إمتناع الصحابة رضوان الله عليهم عن كتابة الحديث إلى نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن كتابة غير القرآن مخافة أن تلتبس السنه بالقرآن. فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "لا تكتبوا عني شيئاً إلا القرآن ومن كتب شيئاً فليمحه، وحدثوا عني ولا حرج"[١].

"وقد عقب الإمام الخطابي على حديث النهي بقوله: "وقد قيل إنه إنما نهى أن يكتب الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة لئلا يختلط به، ويشتبه على القارئ، فأما أن يكون الكتاب نفسه محظوراً وتقييد العلم بالخط منهياً عنه فلا. ولأنهم كانوا يسمعون تفسير الآية من الرسول صلى الله عليه وسلم فربما كتبوه معها فنهوا عن ذلك خوف الإشتباه." [٢]

(١) تاريخ الحديث ومناهج المحدثين ص٢٥-٢٧
(٢) المصدر السابق ص٢٩

منهج الصحابة رضوان الله عليهم وضوابطه في التحقق من صحة الأحاديث وتدوينها:

"إتبع الصحابة رضوان الله عليهم أقصى وأحكم ما يمكن من وسائل البحث والفحص الصحيحة، وذلك حفاظاً على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن هذه الوسائل:

١) عنوا بالبحث في إسناد الحديث وفحص أحوال الرواة بعد أن كانوا من قبل يرجحون توثيق من حدثهم. ومثال ذلك ما أخرجه الإمام مسلم في مقدمة صحيحه والترمذي في علل الجامع عن محمد بن سيرين أنه قال "لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا سموا لنا رجالكم، فينظر إلى حديث أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم.

٢) حث علماء الصحابة رضوان الله عليهم الناس على الإحتياط في حمل الحديث عن الرواة، وألا يأخذوا إلا حديث من يوثق به ديناً وورعاً، وحفظاً وضبطاً، حتى شاعت في عرف الناس هذه القاعدة: "إنما هذه الأحاديث دين فانظروا عمن تأخذونها"

وروى مسلم في صحيحه عن بشير العدوي أنه جاء إلى إبن عباس رضي الله عنهما فجعل يحدث ويقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: فجعل إبن عباس لا يأذن لحديثه ولا ينظر إليه فقال: يا إبن عباس مالي لا أراك تسمع حديثي أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسمع فقال إبن عباس إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلاً يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتدرته أبصارنا وأصغينا إليه بآذاننا، فلما ركب الناس الصعبة والذلول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف.

ولما وصل حال الناس إلى هذه الحال بدأ نقد الرجال والبحث عن الإسناد

وتمييز المقبول من المردود في المرويات، وبذلك نشأ علم ميزان الرجال- الجرح والتعديل- الذي هو عماد أصول الحديث.

٣) الرحلة في طلب الحديث، لأجل سماعه من الراوي الأصل، والتثبت منه. وقد امتلأت كتب السير بالعجيب والمستغرب من أخبار رحلاتهم، إذ بلغ بهم الأمر أن يرحل الرجل في الحديث الواحد مسافة شاسعة، على الرغم مما كان في مواصلاتهم من المشقة والتعب.

وكانت الغاية من الرحلة هي التثبت من الحديث ممن سمعه مباشرة من الرسول صلى الله عليه وسلم. وسار التابعون على نهج الصحابة رضوان الله عليهم في الرحلة في طلب الحديث، فكانوا يرحلون إلى الصحابة ويسألونهم عن الأحاديث كما روى الخطيب البغدادي بأسانيده عن سعيد بن المسيب قال: "إني كنت لأسير الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد"

٤) ومن الطرق التي اتبعوها في معرفة الوضع والضعف في الحديث عرض حديث الراوي على رواية غيره من أهل الحفظ والإتقان، فحيث لم يجدوا له موافقاً على أحاديثه أو كان الأغلب على حديثه المخالفة ردوا أحاديثه أو تركوها.[١]"

"يعد القرن الثالث الهجري بحق العصر الذهبي للسنة، والحد الفاصل في تاريخ تدوين السنة النبوية. وذلك بأن أعداء الاسلام والحاقدين عليه قد حاربوه بكل سلاح، وقعدوا له كل مرصد، فانبرى لهم الخلص من علماء المسلمين وردوا افتراءاتهم، وخلصوا سنة النبي صلى الله عليه وسلم من هذه الأكاذيب والدسائس التي حاكوها بليل، وأخرجوها للناس صافية نقية كما وقعت من المصطفى صلى

(١) المصدر السابق ص٤٥-٤٧

الله عليه وسلم، وسارعوا إلى تدوين ما صح منها في كتب خاصة- سميت بكتب الصحاح، مثل صحيحي البخاري ومسلم- وما دون في السنن فقد بين العلماء الصحيح من الضعيف منها.

أما الذين أساءوا إلى السنة النبوية في ذلك الوقت ودسوا فيها كثيراً من الأباطيل فهم كثر، فمنهم الشعوبيون والزنادقة، وأصحاب البدع والأهواء. وليس من موضوعنا أن نفصل الكلام فيما فعله هؤلاء الأعداء الذين أساءوا إلى الأمة بشعوبيتهم، ولكننا نكتفي بذكر أمثلة يسيرة في هذا الصدد.

فمن الأمثلة التي وضعها الشعوبيون لتأييد مذهبهم وهو تفضيل العجم على العرب ما يزعمون من أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال فيما يرويه عنه علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "إن لله بخراسان مدينة يقال لها بخارى، إن أهلها آمنون من الصرخة عند الهول. فطوبى لهم. يطلع الله عليهم في كل ليلة فيغفر لمن يشاء منهم ويتوب على من تاب. وما يزعمون من أن الأعاجم ذكرت عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "أنا بهم أوثق مني بكم.

ومثل هذه الأحاديث المزعومة تسيء بلا شك الى العرب جميعاً إذ تجعلهم بعيدين عن رحمة الله ومغفرته، وغير أهل لثقة الرسول صلى الله عليه وسلم بهم. وهي بلا شك أوهن من أن يرد عليها لأنها تحمل في طياتها ما يهدمها.

ومن الأمثلة التي وضعها الزنادقة ونسبوها ظلماً للرسول صلى الله عليه وسلم ما يزعمون من أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "رأيت ربي في المنام في أحسن صورة شاباً موقراً، رجلاه في خضرة، له نعلان من ذهب، وعلى وجهه فراش من ذلك" ومثال هذا الكلام بعيد بلا شك عن مبادئ [عقيدة] الإسلام التي تقرر بأنه سبحانه ليس كمثله شيء. وهي تنشر تلك الأفكار المضللة حول الذات الإلهية ولا شك أن الغرض من تلك الأكاذيب هو إشعال الفتن بين المسلمين،

وتفريق الجماعة الإسلامية، ودس الكفر والإلحاد في ثنايا الدين الإسلامي باسم ما يزعمون ويوهمون أنه من السنة النبوية وهي في واقع الأمر منه براء.

لذلك اتجهت همم العلماء والرواة في مطلع هذا القرن إلى جمع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مفرداً عن أقوال الصحابة والتابعين، وإلى تحري الدقة البالغة في التمييز بين الصحيح وغيره. فابتكروا لذلك (المسانيد) جمعوا فيها الحديث النبوي مرتباً بحسب أسماء الصحابة. فيذكر لكل صحابي ما رواه من الأحاديث، فيقال مثلاً مسند أبي بكر، ومسند عمر.

ثم كتب البخاري كتابه الجامع الصحيح، ورتبه على الأبواب الفقهية، كما ألف الامام مسلم صحيحه، وحذا حذوهما النسائي وأبو داود والترمذي وابن ماجه. فوضعوا كتبهم على الأبواب، وراعوا حسن الاختيار، وإن كان أصحاب السنن لم يشترطوا الصحة.

وهذه الكتب هي التي أطلق عليها علماء الحديث اسم الكتب الستة وكلها كتبت في القرن الثالث الهجري"[1].

ثمرة جهود المحدثين وإتباعهم الأساليب العلمية وتحريهم دقة الأحاديث قدم لنا نتائج في إرساء قواعد متينة في البحث العلمي الجاد من التدقيق والتوثيق والتمحيص من ناحية، ومن ناحية أخرى كان لها الأثر الكبير في إثراء المكتبة الإسلامية، وذلك بظهور المؤلفات العديدة والمنوعة في المجالين التاليين:

أ) دراية الحديث:

(١) المصادر السابق ص ٥٢-٥٤

وهو علم باحث عن المعنى المفهوم من ألفاظ الحديث وعن المراد منها مبنياً على قواعد العربية وضوابط الشريعة ومطابقاً لأحوال النبي صلى الله عليه وسلم من حيث دلالتها على المعنى المفهوم أو المراد وغايته التحلي بالآداب النبوية والتخلي عما يكرهه وينهاه ومنفعته أعظم المنافع[1].

ونقصد بها مؤلفات المتون أي نص الحديث النبوي الشريف، وقد ظهرت منها عدة أنواع، فمنها الصحيح والحسن والغريب والضعيف والموضوع والمعنعن والمدلس، وشروحات وإستدراكات ومنه ما يبين الأحكام الشرعية وأدلتها، وقد ظهرت مؤلفاتهم بعدة أنماط، أهمها:

١) الجوامع، وأشهرها:

"صحيح البخاري" (٢٥٦هـ)، "صحيح مسلم" (٢٦١هـ)، "سنن النسائي" (٣٠٣هـ)، "سنن الترمذي" (٢٧٩هـ)، "سنن أبي داود" (٢٧٥هـ)... وغيرها.

٢) المسانيد، وأشهرها:

"مسند أحمد بن حنبل" (٢٤١هـ)، "مسند أبي حنيفة" (١٥٠هـ)، "مسند الطيالسي" (٢٠٤هـ)، "مسند الشافعي(٢٠٤هـ)...وغيرها.

٣) الأحاديث الضعيفة، وأشهرها:

"الأحاديث الضعيفة" للفيروزآبادي (٨١٧هـ)

٤) الأحاديث الموضوعة، وأشهرها:

"كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس" للعجلوني (١١٦٢هـ)، " تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة

(١) كشف الظنون ٢: ٦٣٥

الموضوعة" لابن عراق(٩٦٣هـ)... وغيرها.

٥) الشروحات للنصوص الأساسية، وأشهرها:

شرح الكرماني (٧٩٦هـ)، سماه: "الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري"، وشرح ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، سماه: "فتح الباري بشرح صحيح البخاري"، وشرح النووي (٦٧٦هـ)، سماه: "المنهاج في شرح مسلم بن الحجاج"، وشرح القسطلاني (٩٢٣هـ)، سماه: "منهاج الإبتهاج بشرح مسلم بن الحجاج"، وشرح ابن هبيرة (٥٦٠هـ)، سماه: "الإفصاح عن معاني الصحاح" (أي الصحيحين البخاري ومسلم)، وشرح العجلوني (١١٦٢هـ)، سماه: "الفيض الجاري في شرح صحيح البخاري"، وشرح الشوكاني (١٢٥٠هـ)، سماه: "نيل الأوطار: شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار"،...وغيرها.

٦) الغريب، وأشهرها:

"غريب الحديث": لابن قتيبة (٢٧٦هـ)، ولابن سلام (٢٢٤هـ)... وغيرهما.

٧) الإستدراكات للنصوص الأساسية، وأشهرها:

"المستدرك على الصحيحين"، للحاكم النيسابوري(٤٠٥هـ)...وغيره.

٨) الأمالي: "هو جمع الإملاء وهو أن يقعد عالم وحوله تلامذته بالمحابر والقراطيس فيتكلم العالم بما فتح الله سبحانه وتعالى عليه من العلم ويكتبه التلامذة فيصير كتاباً ويسمونه الإملاء وكذلك كان السلف من الفقهاء والمحدثين وأهل العربية وغيرها في علومهم فاندرست لذهاب العلم والعلماء وإلى الله المصير وعلماء الشافعية يسمون مثله التعليق"[1]، وأشهرها:

(١) كشف الظنون ١: ١٦١

أمالي ابن دريد (٣٢١هـ)، أمالي ابن عساكر (٥٧١هـ)، أمالي أبي جعفر (٣٤٣هـ)، أمالي الجوهري (٤٥٤هـ)، أمالي الزعفراني (٥٨٩هـ)، أمالي القضاعي (٤٥٤هـ)، أمالي نظام الملك (٤٨٥هـ)، أمالي ولي الدين (٨٢٦هـ)... وغيرها.

٩) الأجزاء: " أجزاء الأحاديث من مرويات الحفاظ أوردتها على ترتيب الحروف"[١]، أشهرها:

جزء ابن راهويه (٢٣٨هـ)، جزء المنذري (٦٥٦هـ)، جزء نعمان (١٨٣هـ)، جزء النقاش (٣٥١هـ)، جزء ابن صاعد (٣١٨هـ)، جزء ابن شاهين (٣٨٥هـ)... وغيرها.

١٠) الأربعون وشرحها: أشهرها أربعين الإمام النووي (٦٧٦هـ): "قال فيه ومن العلماء من جمع الأربعين في أصول الدين وبعضهم في الفروع وبعضهم في الجهاد وبعضهم في الزهد وبعضهم في الآداب وبعضهم في الخطب وكلها مقاصد صالحة وقد رأيت جمع أربعين أهم من هذا كله وهي أربعون حديثاً مشتملة على جميع ذلك كله منها قاعدة عظيمة من قواعد الدين وقد وصفه العلماء بأن مدار الإسلام عليه وهو نصف الإسلام أو ثلثه ونحو ذلك وألتزم فيه أن تكون صحيحة معظمها من صحيح البخاري ومسلم محذوفة الأسانيد ثم أتبعها بباب في ضبط خفي ألفاظها انتهى أوله الحمد لله رب العالمين قيوم السموات والأرضين الخ وقد اعتنى العلماء بشرحه وحفظه فكثرت شروحه... [٢]" وأشهرها:

(١) المصدر السابق ١: ٥٨٣
(٢) المصدر السابق ١: ٥٩

"متن الأربعين النووية" للنووي (٦٧٦هـ)، "كتاب الأربعين حديثاً: الأربعين من أربعين عن أربعين" للصدر البكري (٦٥٦هـ)، "المبين المعين لفهم الأربعين" للقاري (١٠١٤هـ).

١١) إعراب الحديث، أشهرها:

كتاب أبي البقاء العكبرى (٦١٦هـ): "إعراب الحديث النبوي"، و"إتحاف الحثيث بإعراب ما تشكل من ألفاظ الحديث"، الجلال السيوطي (٩١١هـ): "عقود الزبرجد في إعراب الحديث النبوي"، ابن مالك (٦٧٢هـ): "شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح"،... وغيرهم.

١٢) دفع مطاعن عن الحديث النبوي الشريف، أشهرها:

"تأويل مختلف الأحاديث في الرد على أعداء أهل الحديث والجمع بين الأخبار التي ادعوا عليها التناقض والاختلاف..." لابن قتيبة (٢٧٦هـ)، "الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم" لابن الوزير (٨٤٠هـ)... وغيرها.

١٣) المؤلفات التي تبين الأحكام الشرعية، أشهرها:

"معالم السنن" للخطابي (٣٨٨هـ)، "مصابيح السنة" للبغوي (٥١٠هـ)، "سبل السلام"، للصنعاني (١١٨٢هـ)... وغيرها.

١٤) المختصرات، أشهرها:

"مختصر صحيح مسلم" للمنذري (٦٥٦هـ)، "مختصر الترغيب والترهيب" لابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، "مختصر صحيح البخاري المسمى: التجريد الصريح لأحكام الجامع الصحيح" للزبيدي (٨٩٣هـ)... وغيرها.

١٥) الناسخ والمنسوخ، أشهرها:

"الإعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار" للحازمي الهمذاني (٥٨٤هـ)... وغيره.

ب) رواية الحديث:

"وهو علم يبحث فيه عن كيفية اتصال الأحاديث بالرسول صلى الله عليه وسلم من حيث أحوال رواتها ضبطاً وعدالة"[١]، وتفرع عنه:

١) **"علم الجرح والتعديل:** هو علم يبحث فيه عن جرح الرواة وتعديلهم بألفاظ مخصوصة وعن مراتب تلك الألفاظ وهذ العلم من فروع علم رجال الأحاديث ولم يذكره أحد من أصحاب الموضوعات مع أنه فرع عظيم والكلام في الرجال جرحاً وتعديلاً ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عن كثير من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم فَمَنْ بعدهم، وجوز ذلك تورعاً وصوناً للشريعة لا طعناً في الناس وكما جاز الجرح في الشهود جاز في الرواة والتثبت في أمر الدين أولى من التثبت في الحقوق والأموال فلهذا افترضوا على أنفسهم الكلام في ذلك. وأول من عني بذلك من الأئمة الحفاظ شعبة بن الحجاج ثم تبعه يحي بن سعيد. قال الذهبي في ميزان الاعتدال أول من جمع في ذلك الإمام يحيى بن سعيد القطان وتكلم فيه بعده تلامذته يحيى بن معين وعلي ابن المديني وأحمد بن حنبل وعمرو بن علي القلاس وأبو خيثمة زهير وتلامذتهم كأبي زرعة وأبي حاتم والبخاري ومسلم وأبي إسحاق الجوزجاني والنسائي وابن خزيمة والترمذي والدولابي والعقيلي وابن عدي وأبو الفتح الأزدي والدار قطني والحاكم إلى غير ذلك."

(١) المصدر السابق ١: ٦٣٥

(١)

وكان أشهر ما ألف فيه "كتاب الجرح والتعديل" للعجلي (٢٦١هـ)، ولابن أبي حاتم الرازي (٣٢٧هـ)... وغيرهم.

٢) **علم الطبقات**، وكان بعدة توجهات، وهي:

أ- أسماء الرجال (رجال الحديث الشريف) (من هم ثقة)، وأهم من ألف فيه الكلاباذي(٣٩٨هـ): "أسماء رجال صحيح البخاري"، وابن منجويه (٤٢٨هـ): "أسماء رجال صحيح مسلم"، ابن طاهر المقدسي(٥٠٧هـ)، "أسماء رجال الصحيحين"، الجياني الغساني(٤٩٩هـ)، "أسماء رجال سنن أبي داود"، والذهبي(٧٤٨هـ): "طبقات الحفاظ أو تذكرة الحفاظ"، وذيولها، وابن حبان البستي(٣٤٥هـ): "كتاب الثقات"... وغيرهم.

ب- أسماء الرجال (رجال الحديث الشريف) (من هم غير ثقة)، وأهم من ألف فيه الكرابيسي(٢٤٨هـ): "أسماء المدلسين"، والذهبي(٧٤٨هـ): "ميزان الإعتدال في نقد الرجال"، والدارقطني(٣٨٥هـ): "كتاب الضعفاء والمتروكين"، وابن حبان البستي(٣٤٥هـ): "كتاب المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين"، والنسائي(٣٠٣هـ): "كتاب الضعفاء والمتروكين"... وغيرهم.

ولما كان المحدثون من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم يتمتعون بآداب العلم من التواضع والحلم وإخلاص النية والرغبة في خدمة العلم دون التفكير بالأجر الدنيوي، ومن عدم التجريح لبعضهم بعضاً على الرغم من وجود علم الجرح والتعديل، وما كان معروفاً عن الإمام البخاري أنه إذا ذكروا اسم راوٍ

(١) المصدر السابق ١: ٥٨٢

ليس بالثقة يقول أسكتوا عنه كي لا تكتب له غيبة، وما عرف عنهم بعدم الحسد وعدم كتم العلم بل الشغف فيه وبنشره، والصبر والمثابرة دون كلل أو ملل ومن تطبيقهم لكل ما يتعلموه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد أبدعوا لما تركوا لنا من الأحاديث الموثقة وعطاءً متميزاً في نمط المؤلفات التي ظهرت في هذا العلم الجليل، ما فيه إثراء للمكتبة الإسلامية.

ولما بات مجتمعنا يواجه التحديات الجسيمة التي تهدف إلى طمس الهوية الإسلامية والثقافة الإسلامية العربية وتنشئة أجيال تناسب عصر العولمة، أصبح من الواجب علينا أن نتنبه إلى كل ما حولنا، لأننا أصبحنا في الحال الذي يقولون عنه إختلط الحابل بالنابل وكما وصف حالنا نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم "يصبح فيه الحليم حيران".

نخلص بأننا كل فرد في الأمة الإسلامية مسؤول وليس فقط صاحب القرار هو المسؤول في إحياء الأخلاق الإسلامية في جميع مناحي الحياة.

وبالمقارنة مع الفضاء المعرفي المفتوح فإننا عندما نقيم أي موقع على الإنترنت نهتم بأمور أساسية أهمها: من هو صاحب هذا الموقع؟، وهل يتمتع بسمعة طيبة؟، وما مدى دقة المعلومات الواردة والمعروضة فيه؟ وهل يحمل عنواناً مزخرفاً باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب، وبشكل أو بآخر يخدم أغراض الإستعمار في طمس هويتنا الثقافية...إلخ

أخيراً نأمل أن نحذوا حذو علمائنا من السلف الصالح لإننا عندما نتكلم عن التراث العربي الإسلامي لا ندعوا إليه للتغني بأمجاد الآباء والأجداد ولكن ندعو دائماً بالتراث الذي يدفع بالتطور إلى الأمام، والذي يعبر عن هويتنا وثقافتنا ما إن تمسكنا به وحذونا حذوه.

والله من وراء القصد

ثبت المصادر والمراجع

الكتب:

١- القرآن الكريم

مصحف المدينة المنورة

المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٩٨٦. - ٦٠٤ص.

مراجع الحديث النبوي الشريف:

١- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع

تأليف أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي؛ تحقيق محمود الطحان. - الرياض: مكتبة المعارف، ١٩٨٣. - ٢مج.

٢- الجامع الصحيح

أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي؛ بتحقيق وشرح أحمد محمد شاكر.- بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٣٨. - ٥مج.

٣- مسند أحمد بن حنبل

أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني. - ط ٢. - بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٧٨.- ٦مج.

المراجع الأخرى:

١- الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين

خير الدين الزركلي. - ط٦. - بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٤. - ٨مج.

٢- تاريخ الحديث ومناهج المحدثين

محمود سالم عبيدات، مراجعة محمود نادي عبيدات. - عمان: دار المناهج للنشر والتوزيع، ١٩٩٧. - ٢٧٧ص.

٣- دلائل التوثيق المبكر للسنة والحديث

إمتياز أحمد، ترجمة عبد المعطي أمين قلعجي. - ط٢. - دمشق: دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٠. - ٥٤٣ص.

٤- ذخائر التراث العربي الإسلامي: دليل ببليوغرافي للمخطوطات العربية المطبوعة حتى عام ١٩٨٠

عبد الجبار عبد الرحمن. - بغداد: [د.ن.]، ١٩٨١. - ٢مج.

٥- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون

مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي. - بيروت: دار الفكر، ١٩٨٢. -٢مج.

٦- لسان العرب

محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي. - بيروت: دار صادر، ١٩٠٠. - ١٥مج.

٧- مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي

تأليف فرانز روزنثال؛ ترجمة أنيس فريحة. - ط٤. - بيروت: دار الثقافة، ١٩٨٣. - ٢٣٠ص.

٨- وراقو بغداد في العصر العباسي

خير الله سعيد. - الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ٢٠٠٠ ٦٢٥ص.

المواقع الإلكترونية:

١-www.ju.edu.jo

2- www.shoman.org.jo